

الإتباع في اللغة

للدكتور علي حسين البواب
كلية اللغة العربية - الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد الأنبياء والمرسلين، وبعد،
فللعربية كثير من الخصائص اللغوية، وللعرب أساليب لتقوية الكلام وتوكيده وتزيينه،
وعبارات تدلّ على الفصاحة، وتنمّ عن البلاغة والبراعة، من ذلك ما عرف به (الإتباع)،
وهو من سنن العرب في كلامهم، ومما أثر عنهم، وفي هذا البحث حديث عن هذه
الظاهرة اللغوية:

الإتباع لغة واصطلاحاً:

تدل مادة «تبع» في اللغة على التلّو والقّفو، يقال: تبع فلان فلانا، يتبعه، تبعاً،
وتبّاعة، وتبوعاً، وتبّاعاً: مشى خلفه وسار في إثره، وتلاه. ويقال: تابعه، وتبّعه، وأتبعه.
والتابع والتبّيع: التالي للشيء، الموالي له^(١).

(١) ينظر الصحاح، والمقاييس، واللسان، والمفردات - تبع.

ورود هذا الأصل ومشتقاته في القرآن الكريم في مواضع كثيرة: قال الله تعالى: ((فمن تبع هُداي))^(٢) وقال عز وجل: ((يا قوم اتبعوا المرسلين))^(٣)، وقال: ((وما أنت بتابع قبلتهم))^(٤)، وقال: ((إنا كنا لكم تبعاً))^(٥) وقال: ((ثم لا تجدوا لكم علينا تبعاً))^(٦).

فالإتباع في اللغة: مصدر أتبع الشيء الشيء: ألحقه به وجعله تالياً له. أما في الاصطلاح فأوضح تعريف له ما ذكره أحمد بن فارس: «وهو أن تُتَّبَعَ الكلمة الكلمة على وزنها أو رويها إشباعاً وتوكيداً»^(٧). ومن ذلك: حَسَنَ بَسَنَ، وَقَسِمَ وَسِيمَ، وشيطان ليطان.

أما الغرض من استعماله فيتضح فيما رواه ابن الأعرابي، أنه سأل العرب عن الإِتباع فقالوا: «هو شيء يُتَدُّ به كلامنا»^(٨) «أي: نشده ونقويه به».

وقال الآمدي: «التابع لا يفيد معنى أصلاً، ولهذا قال ابن دريد:»^(٩) سألت أبا حاتم عن معنى «بَسَنَ»^(١٠) فقال: لا أدري ما هو. قال السبكي: والتحقيق أن التابع يفيد التقوية؛ فإنَّ العرب لا تضعه سدى، وجهل أبي حاتم بمعناه لا يضر، بل مقتضى قوله إنه لا يدري - معناه أن له معنى وهو لا يعرفه»^(١١).

(٢) سورة البقرة: ٣٨.

(٣) سورة يس: ٢٠.

(٤) سورة البقرة: ١٤٥.

(٥) سورة إبراهيم: ٢١.

(٦) سورة الاسراء: ٦٩.

(٧) الصاحبي: ٤٥٨.

(٨) ينظر الأمالي لاطلب: ٨ / ١، والصاحبي ٤٥٨.

(٩) الجمهرة: ٤٢٩ / ٣.

(١٠) من قولهم «حسن بسن».

(١١) المزهري: ١ / ٤١٥، ٤١٦، وينظر المحصول للرازي ١ / ٣٤٨، وشرح الكوكب المنير لابن النجار ١ / ١٤٣.

وقال الرضي الأستراباذي عن الإتياع: «وهو على ثلاثة أضرب: فإنه إما أن يكون للثاني معنى ظاهر، نحو: هنيئاً مريئاً، وهو سرير، أو لا يكون له معنى أصلاً؛ بل ضمَّ إلى الأول لتزيين الكلام لفظاً، وتقويته معنى، وإن لم يكن له في حال الإفراد معنى، نحو: حَسَنَ بَسَنَ قَسَنَ، أو يكون له معنى متكلف غير ظاهر، نحو: خبيث نبيث، من نبثت الشيء: أي استخرجته» (١٢).

بحث العلماء للإتياع وآراءهم فيه:

كان لعلماء العربية جهود في دراسة الإتياع - من منطلق عنايتهم بالعربية، وحرصهم على بحث قضاياها وظواهرها، وقد تباينت مواقفهم من الموضوع، واختلفت نظراتهم وآراءهم فيه، ونذكر هنا أن ألفاظ الإتياع رويت ونقلت عن أئمة العربية وعلمائها، منهم اليزيدي، واللحياني، والأحمر، وأبو مالك عمرو بن كزبرة، وأبو زيد، ويونس، والأصمعي، والخليل، وابن الأعرابي، وأبو عمرو الشيباني، والكسائي، والفراء، وقطرب، وأبو عبيد، وأبو عبيدة، وغيرهم. كما نذكر أن أوائل المؤلفين في العربية عرضوا للإتياع، فمنهم من اقتصر على إيراد ألفاظه أو أشار إليه دون تعييد أو تحديد، ومنهم من خصه بمباحث وأبواب، وقليل منهم من أفرد له كتاباً.

وتجدث فيما يلي عن جهود علماء العربية على اختلاف اتجاهاتهم ونظرتهم للإتياع، نبيّن دورهم في بحثه وآراءهم فيه:

ففي كتاب «العين» للخليل بن أحمد - وهو من أقدم المؤلفات اللغوية - تتناثر ألفاظ الإتياع، يعلّق الخليل على بعضها مشيراً إلى شيء من ملامح الباب، وينقل بعضها دون تعليق: قال: «والنوع: الجوع، ويقال: العطش، وبالعطش أشبه لقول العرب: عليه

(١٢) شرح الكافية: ١/ ٣٣٣.

الجوع والنوع، وجائع نائع، ولو كان الجوع نوعاً لم يحسن تكريره. وقال آخر: إذا
اختلف اللفظان كرروا والمعنى واحد». (١٣)

وقال: «وتقول: حياك الله وبياك، أي: أفرحك وأضحكك، ويقال: بياك تقوية
لحياك». (١٤) ونقل: «ورجل حواس عواس: طلاب بالليل». (١٥)

وفي «الكتاب» إشارات إلى بعض مسائل الاتباع، قال سيبويه: «وهذا حرف لا
يُتكلّم به مفرداً إلا أن يكون على «ويلك»، وهو قولك: ويلك وعولك، ولا يجوز:
عولك». (١٦)

وقال: «ولا تقول: عَوْلَةٌ لك إلا أن يكون قبلها: ويلة لك، ولا تقول: عول لك حتى
تقول: ويل لك؛ لأن ذا يتبع ذا، كما أن ينووك يتبع بسووك، ولا يكون بسووك
مبتدأ». (١٧)

ونلمح من كلام سيبويه الإشارة إلى الإتياع، وأنه لا يفرد، بل يكون ملحقا بما قبله
متصلاً به.

ونخطو خطوات لنصل إلى أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي المتوفى سنة ٢٢٣هـ،
وهو من أئمة العربية، فنجده يقدم مباحث جيدة في موضوعنا هذا.

ففي معجمه القيم «الغريب المصنّف» يعقد أبو عبيد باباً للإتياع، ينقل فيه أمثلة
إتباعية عن أبي زيد، والكسائي، والفراء وغيرهم، منها: «أحمق فاك تاك، وضالّ بالّ،
وما له عافطة ولا نافطة، بقول: العافطة: العنز تعفط، تضط، والنافطة إتياع.....» (١٨)

(١٣) العين: ٢٥٧/٢.

(١٤) المصدر السابق: ٣١٨/٣.

(١٥) المصدر نفسه: ٢٧٠/٣.

(١٦) الكتاب: ١٦٠/١.

(١٧) المصدر السابق: ١٦٧/١.

(١٨) الغريب المصنّف من أقدم وأحسن معجمات المعاني، ولا يزال مخطوطاً على كثرة نسخه، وقد رجعت إلى
نسخه مصورة في مكتبة جامعة الامام - ف ٣٢٤، وهي غير مرقمة الصفحات، والباب باختصار في المزهرة
٤١٩/١.

وفي كتابه «غريب الحديث» يتعرض للموضوع، ونراه وهو ينقل الحديث عن «الشَّيرم»^(١٩): (إنه حَارَّ جَارٌّ) يقول: «وبعض الناس يروونه (حَارَّ يَارٌّ) وهو أكثر» ثم قال: «وقال الكسائي وغيره: الحَارَّ من الحرارة، ويَارٌّ إِتباع، كقولهم: عطشان نطشان، وجائع نائع، وحسن بسن، ومثله كثير في الكلام، وإنما سَمِّي إِتباعاً لأن الكلمة الثانية إنما هي تابعة للأولى على وجه التوكيد لها، وليس يتكلم بها منفردة، فلهذا قيل: إِتباع». ^(٢٠)

وقال: «وقال بعض الناس في (بِيَاك)^(٢١) إنما هو إِتباع، وهو عندي على ما جاء تفسيره في الحديث أنه ليس بإِتباع، ذلك أن الإِتباع لا يكاد يكون بالواو، وهذا بالواو». ^(٢٢)

وفي موضع آخر من الكتاب - في حديث العباس وابنه عبد الله - رحمهما الله - في زمزم: (لا أحلها لمغتسل، وهي لشارب جِلَّ وِبَلِّ) قال: «فأما قولهم (بِلِّ) فإن الأصمعي قال: كنت أقول في (بِلِّ) إنه إِتباع، كقولهم: عطشان نطشان، وجائع نائع، حتى أخبرني معتمر بن سليمان^(٢٣) أن (بِلَّا) في لغة حمير: مباح. قال أبو عبيد: وهو عندي على ما قال معتمر؛ لأننا قلنا ما وجدنا الإِتباع يكون بواو العطف، وإنما الإِتباع بغير واو، كقولهم: جائع نائع، وعطشان نطشان، وحسن بسن، وأشباه ذلك إنما يتكلم به من غير واو، فإذا جاءت واو العطف فهي من كلمة أخرى».

قال: «وقد كان بعض النحويين يقول في حديث آدم عليه السلام، إنه لما قتل أحد ابنيه أخاه، فمكث مائة سنة لا يضحك، ثم قيل له: (حيَّاك الله وبِيَاك) قال: وما بِيَاك؟ قال: أضحكك، يبيِّن لك أنه ليس بإِتباع، إنما هي كلمة أخرى. قال: ويقال: إن بِلًّا شفاء، كما يقال: قد بَلَّ الرجل من مرضه واستبَلَّ، إذا برأ». ^(٢٤)

(١٩) وهو حَبَّ كالعَدَس - القاموس - شبرم.

(٢٠) غريب الحديث: ٢ / ٢٧٨.

(٢١) أي في (حيَّاك الله وبِيَاك).

(٢٢) غريب الحديث: ٢ / ٢٨٠.

(٢٣) توفي سنة ١٨٧ هـ، كان محدث عصره، من كبار العلماء وثقاتهم، ينظر سير أعلام النبلاء: ٨ / ٤٢٠.

(٢٤) غريب الحديث: ٤ / ٢٦ - ٢٩.

ولم يحفظ هنا عناية أبي عبيد ومن نقل عنهم بالموضوع، وأن الإتياع مفيد بكون الكلمة الثانية لا يتكلم بها مفردة، وأن لا يكون بين الكلمتين واو عطف، فإن كان للثانية معنى وتفرّد في الكلام، أو كان بينهما الواو فليس بإتياع.

وإذا انتقلنا إلى القرن الرابع الهجري - عصر الازدهار اللغوي - وجدنا المبحث ينال من الدراسة نصيباً، وبلغت إليه علماء العصر والمؤلفون.

فأبو إسحق الزجاج المتوفى سنة ٣١١هـ - له رأي في الإتياع نقله عنه ابن سيده، يتلخص في أن اللفظة لا تعدّ إتياعاً إلا إذا كانت مما لا يفرد في الكلام ولا يفصل، وهذا لا يختلف عمّا نقلنا آنفاً عن علماء العربية:

قال أبو إسحق في (قسيم وسيم): «ليس و سيم» إتياعاً لـ «قسيم» كما أن قولهم (مليح صبيح) ليس صبيح إتياعاً لمليح، وإنما يكون اللفظ مقضياً عليه بالإتياع إذا لم يكن يفصل، كقولهم: (عطشان نطشان) فعطشان لا يفصل من عطشان، ولذلك قيل في نحو هذا إتياع، لأنه لا معنى له إذا جيء به وحده، فأما وسيم فقد جاء دون قسيم» (٢٥)

وقال في (مضيع مسيع، وضائع سائع): «ليس مسيع إتياعاً لمضيع، ولا سائع إتياعاً لضائع، فإنهم يقولون: ضاعت الناقة وساعت، وناقة مضيع ومسياع، وقد ساءت تسوع، وإنما غرّ من قال إنّه إتياع قولهم: مسياع، وأصله من الواو، فتوهّموا أنهم قلبوها ياءً إتياعاً لمضيع، كيف وهم. يقولون: مسياع مضيع، فيقدمون مسياعاً على مضيع» (٢٦).

فالإتياع عنده ما كان لتقوية المعنى ولا يفصل عن متبوعه، وهو أحد الأقوال في الباب.

ودلا أبو بكر بن دريد الأزدي - توفي سنة ٣٢١هـ - بدلوه مع الباحثين في

(٢٥) المخصص: ٣٠/١٤.

(٢٦) المصدر السابق: ٣١/١٤.

(٢٧) الجمهرة: ٤٢٩/٣ - ٤٣١.

أمثلة إتباعية، وقال بعد نقل عدد منها: «فهذه الحروف إتباع لا تفرد» ثم قال: «وتجيء أشياء يمكن أن تفرد». فهو لا يشترط أن تكون الألفاظ الإتباعية مما يجب عدم إفراده، وإن كان ذلك هو الأكثر عنده وفيما أورد من الأمثلة. كما أن في ثنايا الجمهرة أمثلة للإتباع. (٢٨)

وفي آخر مخطوطة «الإتباع والمزاوجة» لابن فارس نقل ناسخها عن ابن دريد: (٢٩) أن من كلامهم الإتباع والمزاوجة والقلب والإبدال: فالإتباع يكون بلا واسطة ولا حرف، كقولهم: (حسن بسن) ونحوه، والمزاوجة بالحرف كقولهم: (هان ولان)، وهذا الرأي موافق لما نقلنا قريبا عن أبي عبيد من اشتراطه أن يكون الإتباع بغير الواو.

وفي «الأمالي» لأبي علي القالي المتوفى سنة ٣٥٦هـ - باب واسع للإتباع، أورد فيه أمثلة كثيرة من ألفاظه، وقام بتفسيرها وشرحها: (٣٠)

بدأ أبو علي الباب بقوله: «الإتباع على ضربين: فضرب يكون فيه الثاني بمعنى الأول، فيؤتى به تأكيدا، لأن لفظه مخالف للفظ الأول. وضرب فيه معنى الثاني غير معنى الأول». (٣١)

قال: «فمن الإتباع قولهم: أسوان أتوان في الحزن، وأسوان من قولهم: أسى الرجل يأسى، أسى: إذا حزن، ورجل أسيان وأسوان: أي حزين. وأتوان: من قولهم: أتوته، أتوه: بمعنى أتته آتبه، وهي لغة لهذيل... فمعنى قولهم: أسوان أتوان: حزين متردد، يذهب ويجيء من شدة الحزن». (٣٢) «ويقولون: عطشان نطشان، فطشان: مأخوذ من قولهم: ما به نطيش: أي ما به حركة، فمعناه: عطشان قلق». (٣٣)

(٢٨) ينظر الجمهرة: ٢٩٢/١، ٣٠١، ٣٠٨.

(٢٩) في نشرتي - رقم ٤٦٢٤، كتبت سنة ٦٢٧هـ.

(٣٠) الأمالي ٢ / ٢١١ - ٢٢٢. وقد نقل ابن سيده في المخصص ١٤ / ٢٨ - ٣٧ الباب عن القالي، ولم يشر إلى مصدره، وأضاف رأي الزجاج الذي نقلناه قريبا، كما نقل - ص ٣٨ عن الجمهرة.

وقال: «ويقولون: شيطان ليطان، فليطان مأخوذ من قولهم: لاط حبه بقلبي، يلوط ويليط: أي لصق... فمعنى شيطان ليطان: شيطان لصوق...» (٣٤)

فهذه أمثلة مما فسرّ فيه القالي الثاني بمعنى مغاير للأول، وهو إتباع - وإن كان له معنى. ومما فسرّ فيه أبو علي الثاني بمعنى الأول:

«ويقولون: كثير بثير، فالبثير هو الكثير، مأخوذ من قولهم: ماء بثر: أي كثير، فقالوا: بثير لموضع كثير». (٣٥)

وقال: «ويقولون: ضميل بئيل، فالبئيل هو الضميل. قال أبو زيد: بؤل الرجل بآلة: إذا ضؤل». (٣٦) ومنه: «ويقولون: علك وألك، فالعلك والعلكة والعكيك: شدة الحرّ. والأك والأكة: الحرّ المحتدم. يقال: يوم ذو ألك...» (٣٧)

وقال: «ويقال: إنه لمُعِفَت مُلِفَت، فالمعفت الذي يُعِفَت الشيء: أي يدقه ويكسره، ويقال: عفت عظمه: إذا كسره، والملفت مثله في المعنى...» (٣٨)

فالمبحث قيم عند القالي، لم يقتصر فيه المؤلف على عرض الأمثلة - ككثير من العلماء، بل تجاوز ذلك إلى تفسير الألفاظ، وهو يبيّن إن كان الثاني بمعنى الأول أو مخالفاً له، والأول سمّاه العلماء توكيداً، وهو موافق لهم في ذلك، إلا أنّ التأكيد عنده من الإتياع.

(٣١) الأمالي: ٢ / ٢١١.

(٣٢) المصدر السابق: ٢ / ٢١١.

(٣٣) المصدر نفسه: ٢ / ٢١٢.

(٣٤) المصدر والصفحة السابقة.

(٣٥) المصدر السابق: ٢ / ٢١٤.

(٣٦) المصدر والصفحة نفسها.

(٣٧) المصدر نفسه: ٢ / ٢١٩.

(٣٨) المصدر نفسه: ٢ / ٢٢٢.

(٣٩) حَقَّقَ المرحوم عزّ الدين التنوخي الكتاب عن نسخة فريدة تنقص جزءاً من المقدمة، وقدم له بمقدمة نافعة، وشرح ألفاظه، وعلّق عليه تعليقات قيمة، وجمع في آخره عدداً من ألفاظ الإتياع.

وكان أبو الطيب اللغوي - عبد الواحد بن علي الحلبي - توفي سنة ٨٣٥١ - ثاني عالمين ألفا في الإتياع^(٣٩) فيما وصلنا - وخصّاه بكتابين مستقلين: (٤٠)

حدّ أبو الطيب الإتياع: بما لا يصحّ أن يفرد وحده. فإذا كان للفظ معنى لكنّه لا يُفرد، أو لم يكن له معنى فهو الإتياع، أما إذا كان له معنى بحيث يمكن إفراده فلا يرد عنده في الإتياع، وهو إلى جانب ذلك لا يعتدّ بالواو، فسواء أكانت الكلمة بالواو أم بغيرها - فهي إتياع إن توافر فيها ما سبق، قال في الجزء الموجود من المقدمة: «يقولون: هذا جائع نائع، فهو عندهم إتياع، ثم يقولون في الدعاء على الإنسان: جوعا له ونوعا: فيدخلون الواو، وهو مع ذلك إتياع، إذ كان مُحالاً أن تكون الكلمة مرة إتياعا، ومرة غير إتياع، فقد وضح أن الاعتبار ليس بالواو». (٤١)

رتّب أبو الطيب الكتاب على حروف المعجم، مراعيّاً أصول حروف الإتياع، ف: بسلاً - أسلاً - في الهمزة، و: لحمه خطفاً بظا - في الباء، وإنه لسَهْد مَهْد - في الميم... وهو يقسّم ألفاظ كلِّ حرف قسمين: باب الإتياع من الحرف، وباب التوكيد منه، فهو يفصل بين الإتياع والتوكيد فصلاً واضحاً ويجعل لكلِّ سماتِهِ كما سنرى:

فمن الإتياع: «تقول العرب في صفة الشيء بالشدة: إنه لشديد أدهيد، وهو من الأَدِّ، والأُدُّ: القوة، إلا أنّ الأدهيد لا يفرد». (٤٢)

«ويقال: شحيح أنيح، من قولهم: أتح بحمله، يأنح، أنوحا: إذا تزخّر^(٤٣) به من ثقله، ولا يفرد الأنيح^(٤٤)». ومنه: «ويقال: مكان عمير بجير، فالعمير من العمارة، فعمل بمعنى مفعول، وبجير إتياع». (٤٥)

(٤٠) والكتاب الثاني لابن فارس - سمّاه - وقد ذكر ابن النديم في الفهرست ٦٤ أن لأبي حاتم كتابا في الإتياع.

(٤١) الإتياع: ٣.

(٤٢) المصدر السابق: ٤.

(٤٣) تزخّر كزحر: أصدر أنينا.

(٤٤) الإتياع: ٧.

(٤٥) المصدر السابق: ٢٠.

ومنه: «تقول العرب: لا برك الله فيه ولا تارك، ولا يقولونه إلا هكذا، فهو وإن كان مأخوذاً من الترك فلا معنى له في هذا الموضع إلا الإتياع» (٤٦).

وأورد في الكتاب: «ويقال: قضى الله كل حاجة وداجة بالتخفيف، وقد أقبل الحاجّ والداجّ بالتشديد، وزعموا أنّ الداجّ الذين يدجون خلف الحاج، أي يدبّون بالتجارات وغيرها، ولا يفرد الداجّ». (٤٧) وفي الكتاب: «وقال أبو عمرو: يقال: رجل طبّ لبّ، وهو العالم، واللبّ من قولك: رجل لبيب، واللبيب: العاقل، إلا أنه لا يقال رجل لبّ مفرداً، فلذلك جعلناه من الإتياع». (٤٨)

ومما ذكره في الإتياع: «يقال: هو قبيح شقيح، بين القباحة والشقاخة، وقد قبح وشقح، وهو من قولهم: شقح البسر، يشقح، تشقيحا: إذا تغيرت خضرته ليحمر أو ليصفر، وهو أقبح ما يكون حينئذ، ولا يستعمل شقيح إلا في هذا الموضع، فلهذا ذكرناه في الإتياع... وأما قولهم: اذهب مقبوحا مشقوحا فمعناه: مكسورا، ويقال: قبحته، أقبحه، قبحا: أي كسرته، وكذلك: شقحته، أشقحه، شقحا، وهذا من التوكيد لا من الإتياع». (٤٩)

وإذا انتقلنا إلى القسم الثاني عنده - وهو التأكيد - وجدناه يورد فيه: «يقال: قرّ وله كصيص وأصيص وبصيص من الفرع، وكلّه بمعنى الصوت الضعيف». (٥٠) وفيه: «وقال الفراء: يقال: رجل صياح تياح، قال: والتياح والصياح واحد». (٥١)

وفي توضيح الفرق بين الإتياع والتوكيد نذكر قوله: «ويقال في الدعاء على الرجل: جُوعا له وجُودا وجُوسا، فالجود هو الجوع بعينه، وقولهم: جوسا إتياع، هذا قول، وقد قيل: الجوس: الجوع أيضا، فإن كان هذا ثبتا فهو من التوكيد لا من الإتياع». (٥٢)

(٤٦) المصدر نفسه: ٢٨.

(٤٧) المصدر نفسه: ٤١.

(٤٨) المصدر نفسه: ٧٧.

(٤٩) المصدر نفسه: ٥٥ - ٥٧.

(٥٠) المصدر نفسه: ٢١.

(٥١) المصدر نفسه: ٣٣.

(٥٢) المصدر نفسه: ٣٥.

ومن التوكيد الذي أوله راء: «ويقال: ضَبَّ سَبَّخَل رِبَّخَل، وكلاهما الطويل الضخم، وكذلك فحل سَبَّخَل رِبَّخَل». (٥٣)

وذكر في التوكيد: «إنه لطيب ليب». (٥٤)

وهكذا فمناطق التفرقة بين الإتياع والتوكيد مبني على إمكان أفراد الثاني أو عدمه، فالإتياع ما لا يفرد، فإن صحَّ إفراده كان توكيدا، ولا اعتداد بغير هذا القيد عند أبي الطيب.

أما العالم الثاني الذي ألف كتابا في الإتياع فهو أبو الحسين أحمد بن فارس - توفي سنة ٤٣٩٥ هـ قد سَمَّى كتابه الإتياع والمزاوجة» (٥٥). وقبل الحديث عن الكتاب نشير إلى بعض الملحوظات عليه: فالمؤلف لم يعرف الإتياع أو المزاوجة، ولم يذكر الفرق بينهما، وكان يورد العبارات مختلطة كما سنرى، وابن فارس هو الذي نقلنا عنه في أول البحث تعريفه للإتياع من كتابه الصحاحي.

وقد رتب ابن فارس الكتاب على حروف المعجم، من باب الباء إلى حروف العلة، ولكنه راعى آخر الحرف من لفظ الإتياع لا أوله كما عند أبي الطيب، فتركت فلاناً سادحا رادحا - في الحاء، وسدمان ندمان في الميم....

بدأ ابن فارس الكتاب بقوله: «هذا كتاب الإتياع والمزاوجة، وكلاهما على وجهين: أحدهما أن تكون كلمتان متواليتان على رويّ واحد، والوجه الآخر أن يختلف الرويان ثم تكون بعد ذلك وجهين: أحدهما: أن تكون الكلمة الثانية ذات معنى معروف إلا أنها كالإتياع لما قبلها، والآخر أن تكون الثانية غير واضحة المعنى ولا بنية الاشتقاق». (٥٦)

ومما نصَّ على أنه إتياع: «يقال: تُعَدُّ معد: إذا كان غضباً، مُعَدُّ إتياع». (٥٧)

(٥٣) المصدر نفسه: ٤٩.

(٥٤) المصدر نفسه: ٨٢.

(٥٥) اعتمدت هنا على الطبعة التي صدرت سنة ١٩٤٧م بعناية كمال مصطفى.

(٥٦) الإتياع والمزاوجة: ٢٨.

(٥٧) المصدر السابق: ٤٠.

وقال: «ويقولون: تاعس واعس، من التعمس، وقد يقال: فاعس واعس، من النعاس، والواعس إتباع». (٥٨) ومنه: «ويقال: هو عَيْي شَيْي، وما أعياه وأشياه، وكان من عَيْي وشي، فالعِي معروف والشْيي إتباع» (٥٩).

ومما ذكره ابن فارس: «ويقال: خراب يياب، وقد يفرد اليياب، قال عمر بن أبي ربيعة:
كَسَّتِ الرِّياحُ جَدِيدَها مِنْ تُربِها دُقَقًا، وَأَصْبَحَتِ العِراصُ يِيابا
فهذا إتباع إلا أنه أفرد» (٦٠)

ومما أشار فيه ابن فارس إلى «التوكيد» ما نقله عن الأصمعي: «لا آتيك سجييس عجيس، أي الدهر، وسجييسه: آخره، ومنه قيل للماء الكدر: سجييس، لأنه آخر ما يبقى، والعجيس تأكيد، وهو في معنى الآخر». (٦١)

ويتضح أنه يغلب على الإتياع عنده ما لا يفرد التابع، أو ما يكون له معنى مختلف عن المتبوع، أما إن وافقه فهو توكيد.

ونقل ابن فارس في الكتاب أمثلة للمزاوجة وأمثالا للعرب، وغير ذلك:

قال: «ومن المزاوج» ما له هارب ولا قارب»، أي ما له صادر عن الماء ولا وارد، ومنه قولهم عند المبالغة: «لا شوب ولا روب، ولا شيب ولا عيب». (٦٢)

«ومن المزاوج قولهم: «نعوذ بالله من التُّرح بعد الفرح» الترخيف». (٦٣)

«ومن المزاوجة قولهم فيمن ينفع مرة ويضر مرة: «هو جيش مرة وعيش مرة». (٦٤)

(٦٠) المصدر نفسه: ٢٩.

(٦١) المصدر نفسه: ٤٩.

(٦٢) المصدر نفسه: ٣١.

(٦٣) المصدر نفسه: ٣٦.

(٦٤) المصدر نفسه: ٥١.

(٥٨) المصدر نفسه: ٤٩.

(٥٩) المصدر نفسه: ٦٩.

«ويقولون في أسجاعهم: «من شاخ باخ» (٦٥)

«ومن الأسجاع - وليس من الباب - ما عنده خبير ولا مير.» (٦٦)

وهكذا يمتلىء كتاب ابن فارس بالعبارات التي ينص أحيانا على كونها إتباعا أو مزوجة، وسكت في أكثر الأحيان.

وقد ذكر السيوطي في المزهري الكتاب وقال: «وفاته أكثر ممّا ذكره، وقد اختصرت تأليفه وزدت عليه ما فاته في تأليف لطيف سمّيته «الإلماع في الإتياع» (٦٧) ولا نعرف شيئا عن كتاب «الإلماع»، رغم عناية الباحثين كثيرا بمؤلفات السيوطي ومحاولات حصرها. وقد أورد السيوطي في المزهري ألفاظا من الإلماع، يبدو منها أنه جرد الكتاب مما ليس إتباعا، كالمزوجة، والأمثال والأسجاع وغيرها، واقتصر على ما شاع بين العلماء أنه إتباع. (٦٨)

ولا نجد بعد القرن الرابع عملا مميزا في بحث الموضوع، ولم يزد المتأخرون شيئا ذا بال إلى الموضوع، وأحسن ما يذكر في هذا المجال ما قدّمه السيوطي في المزهري، فقد جعل النوع الثامن والعشرين من أنواع اللغة للإتياع (٧٠)، نقل فيه كدأبه في الكتاب - آراء العلماء في الموضوع، وأمثلة إتباعية عن عدد من المراجع، إضافة إلى تأليفه «الإلماع» كما مرّ.

(٦٥) المصدر نفسه: ٣٨.

(٦٦) المصدر نفسه: ٤٣.

(٦٧) المزهري: ٤١٤ / ١.

(٦٨) ما ذكرنا يمثل جهود أشهر علماء العربية في بحث الموضوع، ومن كان لهم دور بارز في درسه، وقد نقل كثرة من العلماء في تلك الفترة ألفاظا إتباعية، من ذلك ما نجده في: التقفية للبندنجي، والزاهر لابن الانباري، وديوان الادب للفارابي، وتهذيب اللغة للازمري والصحاح، المقاييس، وغيرها. اما بعد القرن الرابع فنجد الثعالبي ينقل عبارات الصحابي، وابن سيده كما سبق - نقل كلام القالي وابن دريد، ثم نلاحظ بعد ذلك تناثر العبارات الإتياعية في كتب الامثال كمجمع الامثال، والمستقصى، ومعجمات العربية كاللسان والتاج.

(٧٠) المزهري ٤١٤ / ١ - ٤٢٥.

الخلاصة ومعالم الإتياع:

رأينا فيما سبق عناية علماء العربية بالإتياع واهتمامهم به، وقد اتفقوا على أن الإتياع أن تلي الكلمة كلمة أخرى، وأن الغرض منه تقوية الكلام وتوكيده، ولكنهم اختلفوا في معالمه وقيوده: منهم من يشترط في التابع ألا يكون ممّا يفرد في الكلام، أو ممّا لا معنى له، أو له معنى متكلف، ومنهم من لا يشترط ذلك ويعدّ اللفظ إتياعا ولو صحّ إفراده وأمكن فصله عن المتبوع، أو كان له معنى بين، ثم إن من العلماء من حاول إخراج ما عطف بالواو، وأكثرهم لم يلتفت إلى ذلك.

والإتياع - سواء أخذنا برأي المقيدين أم برأي المتوسعين فيه - صور وأشكال يرد عليها، فقد يكون التابع اسما، أو فعلا، أو جملة:

يقال: «بَسَلًا له وأسلا، أي حرام محرم.» (٧١)

ويقولون: «إنه لجميل بكيل.» (٧٢)

وقالوا: «رجل حاذق باذق.» (٧٣)

ومن أمثلة الإتياع غير الاسمية قولهم: حَظِيَّتِ الْمَرْأَةُ عِنْدَ زَوْجِهَا وَبَغِيَّتِ. (٧٤)

ويقال: «أُرْغَمَهُ اللهُ وَأُدْغَمَهُ.» (٧٥)

وقال أبو زيد: «سمعت بني أسد يقولون: ما يَلِيْقُ بِكَ الْخَيْرُ وَمَا يَعِيْقُ.» (٧٦)

والإتياع لا يشترط أن يكون بكلمة واحدة، فقد يكون التابع أكثر من كلمة:

قال أبو مالك: «يَقَالُ حَارٌّ يَارٌّ جَارٌّ، وَيَقَالُ: رَجُلٌ حَرَّانٌ يَرَّانٌ جَرَّانٌ: إِذَا أَصَابَتْهُ مَصِيبَةٌ.» (٧٧)

(٧١) الإتياع: ٥.

(٧٢) المصدر السابق: ١٣.

(٧٣) المصدر نفسه: ٢٠.

(٧٤) الغريب المصنف، والإتياع: ١٩، والمزهر: ١/٤١٩.

(٧٥) الإتياع: ٤١، والأماشي: ٢/٢١٩.

(٧٦) الإتياع: ٦٣.

(٧٧) المصدر السابق: ٦٢، والأماشي: ٢/٢١٧.

ويقال في الكثرة: «إنه لكثير بشير بذير عفير، وعمير أيضا، يوصف بها كلها
الكثرة.»^(٧٨)

ويقال: «إنه لَحَسَنَ بَسَنَ قَسَنَ وإنه لَبَّيْنُ الحُسْنِ والبَسَانَةِ والقَسَانَةِ.»^(٧٩)

التابع والمتبوع على وزن واحد:

ذكر بعض العلماء أن التابع يكون على زنة متبوعه، من ذلك ما نقلنا عن ابن فارس من
تعريفه الإتياع: «أن تُتَبِعَ الكلمة الكلمة على وزنها أو رويها»^(٨٠)، وقول الرضي: «ويجب
أن يُرَاعَى تجانس اللفظين في باب الإتياع بما يمكن»^(٨١)، وقال السبكي: «فالتابع
شرطه أن يكون على زنة المتبوع.»^(٨٢)، وفي شرح الكوكب المنير: وهو - أي التابع -
على زنة متبوعه، حتى لو وُجِدَ ما ليس على زنته لم يحكم بأنه من هذا الباب،^(٨٣).

والحقيقة أن هذا الشرط أغلبي وليس واجبا، فأكثر ما روي من الأمثلة الإتياعية يصدق
عليها هذا القيد - فالتابع على زنة المتبوع ورويّه، ولكن ذلك لا ينفي ورود القليل مما
لم يلتزم به ذلك، فمقدمة ابن فارس للإتياع التي نقلناها جاء فيها أن الكلمتين قد تكونان
على رويّ واحد أو مختلفتين، وهو مخالف لما حدّه به في الصاحبي.

فمما ورد من الإتياع غير موافق لمتبوعه زنة ورويّا، ما جاء في كتاب أبي الطيب:
«أعطاه عطاء وثحا شقنا، ووثيحا شقنا، كلّ ذلك يُوماً به إلى القلّة»^(٨٤)

ويقال «له الويل والأليل، وله الويل والأويل، ولا يُفرد الأليل ولا الأويل في معنى الويل.»^(٨٥)

(٧٨) الإتياع: ٦٢.

(٧٩) المصدر السابق: ٧١.

(٨٠) الصاحبي: ٤٥٨.

(٨١) شرح الكافية: ٣٣٣/١.

(٨٢) المزهر: ٤١٥/١.

(٨٣) شرح الكوكب المنير: ١٤٥/١.

(٨٤) الإتياع: ٥٨، والجمهرة: ٤٣٠/٣، والأمال: ٢١٧/٢.

(٨٥) الإتياع: ٨.

وفيه: «يقال في الدعاء على الرجل: جوعاً له وجُوداً وجُوساً، فالجود هو الجوع بعينه، وقولهم: جوساً - إتباع.» (٨٦)

وفي الجمهرة - فيما يفرد من الإتباع: «جديد قشيب»، وذكره أبو الطيب في التوكيد. ومثل ذلك كثير من الألفاظ التي نقل أبو الطيب في التوكيد - لا الإتباع - لا يأتي على وزن المؤكد، كقولهم: «قليل حقير» و«قليل نذير»، و«ما به نطيش ولا نويص» (٨٨) والذي نخلص إليه من هذا أن أكثر أمثلة الإتباع جاءت مطابقة للمتبوع زنة، موافقة له رويًا.

تغيير الألفاظ لتحقيق الموافقة:

ومن أجل ما سبق من كثرة المطابقة بين التابع والمتبوع فقد حدث تغيير في التابع، وهو ما يمكن أن يطلق عليه الضرورات النثرية، وقد عُرف هذا في أقوال العرب وأمثالهم، من ذلك قولهم: «لكل ساقطة لاقطة»، فمما قيل في المثل: أن الأصل: لكل ساقطة لاقط، قال المفضل بن سلمة: «فأدخل الهاء لمكان ساقطة لاردواج الكلام.» (٨٩)

ومن أمثلة هذا في الإتباع قولهم: «لا دريت ولا تليت، ويروي: ولا اثليت»، قال المفضل: «ويقال: معناه: لا دريت ولا تلوت، أي: ولا أحسنت أن تتلو، فقلبوا الواو ياء لالاردواج.» (٩٠) وقالوا: «هو رَجَسٌ نَجَسٌ» قال ابن الأنباري: «الرجس: التتن... والنجس بمعنى النجس، إنما تكسر نونه إذا جاء بعد رجس، فإذا أفرد قيل: نجس ولم يقل نجس.» (٩١)

(٨٦) المصدر السابق: ٣٥.

(٨٧) الجمهرة: ٣/٤٣٠، والإتباع: ٧٢.

(٨٨) ينظر الإتباع: ٣٩، ٩٩، ١٠٠.

(٨٩) الفاخر: ١٠٩.

(٩٠) الفاخر: ٣٨، وينظر الإتباع: ٣٠.

(٩١) الزاهر: ٢/٢١٣، وينظر الإتباع: ٥٨.

وذكر الزجاج في « ناقة مضياع مسياع » : « وإنما قالوا: مسياع وأصله مسواع، لأنه من ساع يسوع - على وجهين: إما أن يكون معاقبة، وقد سمعنا بناقة مسواع، وإما أن يكون شاذًا. » (٩٢)

وفي قولهم « حياك الله وبياك » أقوال للعلماء، منها ما نقل عن الأحمر: أراد: بؤك منزلا، فقالوا بياك لازدواج الكلام ليكون تابعا لـ: حياك، كما قالوا: جاء بالعشايا والغدايا يريدون: بالغدوات، وقالوا الغدايا للازدواج. » (٩٣)

وفي شرح الكافية: « ويجب أن يُراعى تجانس اللفظين بما يتمكن، فلهذا قلبوا واو « بؤص » ياء وأصله: حيص بيص. » (٩٤)

وقال القالي: « ويقولون: عَمِي شَمِي، وشَمِي أصله شَوِي، لكنه أجرى على لفظ الأول ليكون مثله في البناء. » (٩٥)

ونقل أبو الطيب عن الفراء: « ويقال: أتيتُه فمَنّاني وهنّاني، غير مهموز، وهو إتباع. » (٩٦) والذي يلحظ هنا تسهيل همزة « هنّاني » ليوافق « منّاني »

وقال أبو الطيب: « ويقال: إنه لذو جُود وسُود، فقال قوم: هو إتباع، وقال آخرون: إنما أرادوا به: ذو جود وسُودد، فأسقطوا إحدى الدالين ليكون على وزن جود. » (٩٧)

ومن الإتباع: « كثير بشير » قال القالي: « فالبشير هو الكثير، مأخوذ من قولهم: ماء بشر: أي: كثير، وقالوا بشير لموضع كثير، كما قالوا: مُهرة مأمورة وسكة مأبورة، وإني لآتية بالغدايا والعشايا. » (٩٨)

(٩٢) المخصص: ٣١/١٤.

(٩٣) الفاخر ٢.

(٩٤) شرح الكافية ١/٣٣٣.

(٩٥) الأملاني ٢/٢١٢، ونظر الإتباع ٥٨.

(٩٦) الإتباع ١٠٨.

(٩٧) المصدر السابق ٥١.

(٩٨) الأملاني ٢/٢١٤. قال في القاموس أمر « والأصل مُؤْتَمَرَة، وإنما هو للازدواج أو لغتية »

ونقل أبو الطيب في التوكيد: «ويقال: رجل مليّ وفي»^(٩٩)، وقد ذكر في اللسان: مَلُو الرجل، يَمَلُو مَلَاءة، فهو مليء. ثم قال: وقد أولع فيه الناس بترك الهمز وتشديد الياء. (١٠٠)

والمثل التي نقلنا - ومثلها كثير - تبين لنا ما حدث في الألفاظ من تغيير في الضبط أو قلب حروف العلة، أو تسهيل الهمز، أو تغيير الصيغة - كل ذلك لأجل أن يكون التابع والمتبوع متناسبين وقعا، مؤثرين معنى.

الإتياع والتوكيد:

عرفت العربية صوراً مختلفة للتوكيد، وترجم النحويون لباب مستقل في مؤلفاتهم بـ «التوكيد» أو «التأكيد»، وجعلوه قسمين: معنويًا بألفاظ محدودة معروفة، ولفظيًا: وهو تكرار اللفظ بنفسه أو بمرادفه. قال ابن مالك: «وهو أن يعاد اللفظ بعينه مجرداً أو مقروناً بعاطف، إلا أن المقرون بعاطف مع اتحاد اللفظ قلماً يكون إلا جملة، كقوله تعالى: ﴿وما أدراك ما يوم الدين* ثم ما أدراك ما يوم الدين﴾^(١٠١)، وكقوله: ﴿أولى لك فأولى* ثم أولى لك فأولى﴾^(١٠٢). ثم قال: «وأكثر وقوع التوكيد اللفظي بجملة». (١٠٣)

وقال السيوطي «والأجود مع الجملة إذا أكدت الفصل بينهما وبين المعادة بـ «ثم»... وهذا إذ لا لبس يحصل، فإن حصل لم يؤت بها». (١٠٤) وأجاز الرضي أن يكون العطف في التوكيد اللفظي بإفناء إضافة إلى الهمزة. (١٠٥)

(٩٩) الإتياع ١٠٥.

(١٠٠) اللسان ملأ

(١٠١) سورة الانفطار ١٧، ١٨.

(١٠٢) سورة القيامة ٣٤، ٣٥.

(١٠٣) شرح الكافية الشافية ٣/ ١١٨٣، ١١٨٤، وبنظر المساعد لابن عقيل ٢/ ٣٩٩، والتصريح للشيخ خالد ١٢٧/٢.

(١٠٤) مع الهوامع ٢/ ١٧٥.

(١٠٥) شرح الكافية ١/ ٣٣٣.

وقد ربط بعض النحويين بين الإتياع والتوكيد، فذكر الرضي: «التأكيد اللفظي على ضربين: لأنك إما أن تعيد لفظ الأول بعينه نحو: جاءني زيد زيد، وجاءني جاءني زيد، أو تقويه بموازنة مع اتفاهما في الحرف الأخير، ويسمى إتياعا.» (١٠٦) ونقل السيوطي: قال ابن الدهان في «الغرة» في باب التوكيد: منه قسم يسمى الإتياع نحو عطشان نطشان، وهو داخل في حكم التوكيد عند الأكثر، والدليل على ذلك كونه توكيدا للأول غير مبين معنى بنفسه عن نفسه، كأكع وأبصع مع أجمع، فكما لا ينطق بأكع بغير أجمع، فكذلك هذه الألفاظ مع ما قبلها، ولهذا المعنى كررت بعض حروفها في مثل حسن بسن، كما فعل بأكع مع أجمع، ومن جعلها قسما على حده حجته مفارقتها أكع لجريانها على النكرة والمعرفة، بخلاف تلك وأنها غير مفتقرة إلى تأكيد قبلها بخلاف أكع. قال: والذي عندي أن هذه الألفاظ تدخل في باب التأكيد بالتكرار... وقال قوم: هذه الألفاظ تسمى تأكيدا وإتياعا. وزعم قوم أن التأكيد غير الإتياع، واختلف في الفرق، فقال قوم: الإتياع منها ما لم يحسن فيه واو، نحو حسن بسن، وقبيح شقيح، والتأكيد يحسن فيه الواو نحو: جَلَّ وِبَلَّ.» (١٠٧)

ويظهر من كلام النحويين اشتراطهم أن يكون التوكيد اللفظي بلفظ المؤكد أو بمرادفه وأنه يجوز العطف بين المؤكد والمؤكد إذا كان جملة بغير الواو.

أما ما رواه اللغويون من ألفاظ، وما نصوا على أنه من التوكيد - ليفرقوا بينه وبين الإتياع، وليقيدوا الإتياع - فمنه ما يتفق مع التوكيد النحوي:

قال الفراء: «يقال: رجل صَيَّاحٌ تَيَّاحٌ، قال: والتَيَّاحُ والصَيَّاحُ واحد.» (١٠٨) وقال أبو زيد: إنه لقليل حقير، وقليل، حَقِيرٌ، والحَقِيرُ والحَقِيرُ واحد: وهو الصغير، الدليل.» (١٠٩)

ويقال: ضَبَّ سَيَّحِلٌ رَبَّحِلٌ: وكلاهما الطويل الضخم.» (١١٠)

(١٠٦) المصدر نفسه.

(١٠٧) المزهر ١/ ٤٢٤.

(١٠٨) الإتياع ٣٣.

(١٠٩) المصدر نفسه ٣٩.

(١١٠) المصدر نفسه ٤٩.

ويقال: «إنه لمضيق مشيع: إذا كان يضيع ماله ويشيعه في الناس.» (١١١)

ويقال: «جاءنا واحداً فardاً، وهما واحد.» (١١٢)

وكل ما سبق تأكيد نحوي، وهو يوافق تماماً ما اشترطه النحويون في التوكيد. ولكن كثيراً مما ورد في التوكيد اللغوي ليس موافقاً للتوكيد النحوي، إما لأن اللفظ الثاني - التابع أو المؤكد له معنى مختلف عن الأول، أو لوجود الواو بينهما:

ففي إتياع أبي الطيب مما عدّه توكيداً: «قرّ وله كصيص وأصيص وبصيص من الفزع، وكلّه بمعنى الصوت الضعيف.» (١١٣)

ويقال: «هو يحفنا ويرفنا: أي يعطينا ويميرنا» (١١٤)

ويقال: «بغية التراب والكباب، والكباب هو التراب بعينه.» (١١٥)

ومما يختلف فيه معنى التابع قولهم: «ما له جرب وخرّب، من الحرّب.» (١١٦)

ويقال: «إنه لساغب لاغب، والساغب: الجائع، واللاغب: المعبي.» (١١٧)

ويقولون: «رجل أيمان عيمان، والأيمان: الذي ماتت امرأته، والعيمان: الذي هلكت إبله فهو يعام إلى اللبن، أي يشتهي.» (١١٨)

ويقال: «ما له ثلّ وغلّ: إذا دعي عليه بالهلاك، فقولهم: ثلّ من الثّلل: وهو الهلاك، وغلّ من الغلة: وهو العطش.» (١١٩)

ويقال: «بلد عريض أريض، فالعريض الواسع، والأريض الحسن النبات.» (١٢٠)

وعبارات كثيرة صنفها المؤلف - أبو الطيب - في باب التوكيد لا يتوافر فيها ما تقدم من شروط التوكيد اللفظي كما عرضه علماء العربية، وقد رأيت أن المقصود هنا نوع آخر من التوكيد، وهو تقوية المعنى، ويضاف هذا إلى أساليب التوكيد الكثيرة المعروفة في العربية.

(١١١) المصدر نفسه ٦٠.

(١١٢) المصدر نفسه ٧٠.

(١١٣) - (١٢٠) بنظر الإتياع - الصفحات ٢١، ٤٨، ٧٤، ٣٨، ٨٠، ٦٤، ٦٩، ١٠، على التوالي.

الإبـاع والتـرادف:

التـرادف في اللـغة: دلالة أكثر من لفظ على معنى واحد، وبين علماء العربية خلاف: أتدل الألفاظ المختلفة على الشيء الواحد باعتبار واحد أم باعتبارات مختلفة (١٢١)؟

وقد فرّق الباحثون بين الإبتاع والتـرادف، فالمتـرادفان يفيدان فائدة واحدة من غير تفاوت، أما التابع فلا يفيد معنى وحده. (١٢٢)

قال ابن النجار: «ولا تـرادف في نحو شذّر مذر على الصحيح، لأنّ الذي بعد الأول تابع لا يفيد شيئاً غير التقوية، وشرط التـرادف أن يفيد أحد المتـرادفين لو انفرد، لأنه مثل مرادفه في الرتبة.» (١٢٣)

والذي عليه الألفاظ الإبتاعية بمعناها الواسع - إبتاعاً أو توكيداً - يكشف وجود كثير من المرادفات عدت إبتاعاً، وقد نقلنا أمثلة منها في الصفحات السابقة عند حديثنا عن التوكيد، وذلك أن يكون الثاني مرادفاً للأول.

والباب الذي عقده القالي للإبتاع استند فيه إلى تقسيم التابع إلى قسمين: ما يكون فيه الثاني بمعنى الأول فيؤتى به توكيداً، وضرب يكون فيه الثاني مخالفاً للأول.

فمن ذلك: «أشير أفر، فالأشـر: البطر المرح، وكذلك الأقر عند ابن الأعرابي.» (١٢٤) ويقولون: «ضئيل، بئيل، فالبئيل هو الضئيل.» (١٢٥). ويقولون: «مضيع مسيع، والإساعة: الإضاعة.» (١٢٦)

وكثير ممّا أوردنا من الأمثلة وممّا في كتب الإبتاع ومصادره تظهر لنا أن من ألفاظه ما جاء مرادفاً لمتبوعه - سواء أعدّ ذلك من الإبتاع أو التوكيد.

(١٢١) ينظر المـزهر ٤٠٢ / ١ وما بعدها.

(١٢٢) ينظر المـحصل ٣٤٨ / ١، والمـزهر ٤٠٢ / ١.

(١٢٣) شرح الكوكب المنير ١٤٣ / ١.

(١٢٤) الأملاني ٢ / ٢١٥.

(١٢٥) المـصدر السابق ٢ / ٢١٤.

(١٢٦) المـصدر السابق ١ / ٢١٥.

الإيتباع والإبدال:

الإبدال في اصطلاح اللغويين: إقامة حرف مكان حرف في موضعه، أو اتفاق الكلمتين في جميع الحروف عدا حرفا واحدا، مع تناسب المعنى بين اللفظين، كمدح ومده، وجنا وجذا، ويكثر أن يكون الحرفان المبدلان ممّا تقاربا صفة أو مخرجا، وقد يقع الإبدال في غير المتقاربين

وعلاقة المبحث بالإتباع أنا وجدنا ألفاظا ذكرها العلماء في الإتباع وهي ممّا يُعد من الإبدال أو العكس:

وهذه نماذج لذلك نبدأها بما ذكر أبو الطيب في كتابه «الإبدال» - وهو أوسع كتب العربية في هذا الموضوع، ونجد الألفاظ أنفسها في كتابه الإتباع:

أورد المؤلف في ابداله: «رجل ضئيل بين الضالة، وشيل بين البالة» (١٢٨)، واللفظ عينه مذكور في إتباعه، وذكره غيره من المؤلفين (١٢٩)، وكونه من الإبدال بعيد لتباعد الضاد عن الباء مخرجا ولاختلافهما صفات، ولكن لاتفاقهما معنى جعلنا من الإبدال.

ومنه ما ذكر في الإبدال عن الفراء: «أقلت وله بصيص وكصيص» (١٣٠)، على أن الباء والكاف مبدل أحدهما من الآخر، وهو بعيد كسابقه، ثم إن المؤلف ذكره في كتابه الإتباع - قسم التوكيد. (١٣١)

وفي إبدال الذال والميم - على ما بينهما من اختلاف مخرجا وصفات - ذكر المؤلف: «رجل مهذار، ورجل مهمار: إذا كان كثير الكلام، وهو يهذر في كلامه ويهمر» (١٣٢)، وفي الإتباع: «ويقال: إنه لهذر مذر. والهذر: الكثير الكلام.» (١٣٣)

(١٢٧) ينظر كتابنا ظاهرة الإبدال اللغوي ١١ وما بعدها.

(١٢٨) الإبدال لأبي الطيب ١٣/١.

(١٣٠) الإبدال ١/٣٤.

(١٣١) الإتباع ٢١.

(١٣٢) الإبدال ٢/٢٦.

(١٣٣) الإتباع ٨٦، والأمثالي ٢/٢١٥.

وفي الإبدال بين السين والهاء - وما أبعد حدوث ذلك - أورد أبو الطيب: «السَّمَلَعُ والهِمْلَعُ: الذئب» (١٣٤)، وأورده في إتياعه من التوكيد، كما ذكره القالي في الإتياع. (١٣٥)

وفي ابدال السين والعين نقل أبو الطيب عن اللحياني: لا آتيك سجيس الدهر، وعجيس الدهر، اي آخر الدهر. (١٣٦) وأورده ابن فارس في الإتياع والمزاوجة عن الأصمعي، وقال: والعجيس: تأكيد وهو في معنى الآخر. (١٣٧)

ومما جاء في الإبدال لابن السكيت: عن الفراء: ذهب القوم شِذْرَ مِذْرٍ، وشِذْرَ بِذْرٍ، وشِذْرَ مِذْرٍ، وشِذْرَ بِذْرٍ: إذا تفرقوا. (١٣٨) وهو ممّا يروى في الإتياع. (١٣٩)

ونقل ابن السكيت في إبدال الباء والميم كسابقه: يقال: مهلا وبهلا في معنى واحد، وعن أبي عمرو أن مهلا وبهلا إتياع. (١٤٠)

وفي إبدال الهمزة والعين - وابدالهما كثير في اللغة - «الفراء: يقال: يوم عَلَكَ، ويوم أك من الحَرِّ. (١٤١) وهو في الاتباع (١٤٢) وكذلك: ذهب القوم عباديد وأباديد، وعباديد وأباديد (١٤٣) وهو ما أورده أبو الطيب في الإتياع. (١٤٤)

وهذه نماذج مما ورد في العربية مختلفا فيه بين الابدال والاتباع وتنبع هذا المبحث يظهر كثيرا من الخلط بينهما، كما يبين عن التوسع الواضح في الاتباع، وان علماء العربية حشروا في الابدال ما ليس منه، وأن المصطلحات ليست واضحة المعالم تماما.

(١٣٦) الإبدال ٢/٢١٢

(١٣٧) الاتباع والمزاوجة ٤٩.

(١٣٨) القلب والإبدال ١٣.

(١٣٩) الاتباع ٨٧

(١٤٠) القلب والابدال ١٦

(١٤١) المصدر السابق ٢٣

(١٤٢) الاتباع: ٨

(١٤٣) القلب والإبدال ٢٣

(١٤٤) الاتباع: ١١.

من أمثلة الاتباع

نقدم هنا بعض العبارات الاتباعية، ونبين آراء العلماء فيها واختلافهم في تفسيرها فمن ذلك: هو في جِلِّ وِبَلِّ «وللعلماء في هذه العبارة أقوال وآراء في تفسيرها: فقد سبق رأي أبي عبيد في إخراجها من الاتباع وعدّها جملة جديدة لمكان الواو، ونقل في الصحاح - بلّ كلام أبي عبيد، أما ابن فارس فاقصر على القول: «وهو جِلِّ وِبَلِّ أي مباح وذكرها أبو الطيب في قسم التوكيد من كتابه، وابن دريد جعلها اتباعا يجوز ان يفرد (١٤٥) .

ومثل ما سبق قولهم: «حيّك الله وبيّاك»، فمما قيل في معنى بيّاك - ما سبق من إنكار الاتباع فيها عند أبي عبيد لأنها بالواو، وأما أبو الطيب فجعلها توكيدا، ولم يبين ابن فارس موقفه من العبارة وهي عند ابن دريد اتباع يجوز افراده (١٤٦)

ويقولون: عريض أريض، فأبو الطيب يجعلها توكيدا، ويوردها القالي ويفسر الأريض بمعنى الخليق للخير الجيد للنبات. وابن فارس - كما يغلب على الكتاب - لا يذكر شيئا عنها، أما ابن دريد فأدخلها في الاتباع الذي يفرد. وقال في الصحاح: وشيء أريض عريض اتباع له، وبعضهم يفرده ويقول: جدي أريض: أي سمين (١٤٧)

ومن الاتباع عند أبي الطيب: رجل حاذق باذق ومثله في الصحاح، وقال في الأمالي: فباذق يمكن أن يكون لغة في «بائق» كما قالوا: قَرَب حشحات وحذحاذ، (١٤٨) ونبيشة ونبيشة: لتراب البئر، فكأن الاصل - والله أعلم - أن رجلا سقى فأجاد وأكثر، فقيل: حاذق باذق، أي حاذق بالسقى بائق للماء (١٤٩)

(١٤٥) ينظر: الجمهرة ٣/٤٣٠، والاتباع ٢٣ والاتباع والمزوجة ٦٢ والصحاح - بل .

(١٤٦) ينظر الجمهرة ٣/٤٣٠، والاتباع ٢٤ والاتباع والمزوجة ٦٩ .

(١٤٧) الجمهرة ٣/٤٣٠ والامالي ٢/٢١٢ والاتباع ١٠ والاتباع والمزوجة ٥٢ .

(١٤٨) القرب: سير الليل، والحذحاذ: السريع (١٤٩) الاتباع ٢٠ والامالي ٢/٢١٧، والصحاح حذق .

ومن ذلك ما جاء في الصحاح: «ورجل نادم سادم، وتذمان سدمان، ويقال: هو إتباع له.» : «سادم نادم» وهو من التوكيد عند أبي الطيب: «نادم سادم.» (١٥٠) وفي الامالي: «ويقولون خزيان سوان» فسوان مأخوذ من قولهم: سوان سوان: أي أمر قبيح...» .

وهو في الجمهرة من الإتباع الذي لا يفرد، على أنه من التوكيد عن أبي الطيب. (١٥١).

ومن الإتباع عند أبي الطيب: مائق دائق من قولهم: رجل مدوق اي محمق، والدوق: الحمق، وكذلك الموق، ويقال ماق الرجل، يموق موقا. ثم قال: ولا يتكلم بالدائق مفردا. ويقال: إنه ليموق مواقه، ومووقا، وداق يدوق دواقه ودووقا أيضا. وقال ابن فارس: هو مائق دائق - اتباع» .

وهو في الجمهرة مما لا يفرد (١٥٢)

ونختم هذه الأمثلة بما نقل أبو الطيب في الإتباع: ويقال: انه لخاسر دابر، وتخسير ودبير، وما له تخسير ودبير. ثم قال: في باب التوكيد: أنه لخاسر دامر، الدامر: الهالك... وانه لتخسير دمر، فإذا قلت: خاسر دابر بالباء فلا وجه له إلا ان يكون اتباعا، أو تكون الباء مبدلة من الميم (١٥٣)

وبعد، فهذا فنّ من فنون العربية، وباب من أبوابها الطريفة، استعمله فصحاء العرب توكيدا للكلام وتزيينا، وقد أوجزنا الحديث فيه، وعمّا يتعلّق به من المباحث اللغوية، آمليّن ان نكون قد وفّقنا فيما قصدنا، نسأل الله المزيد من فضله، والواسع من غفره وغفوه

والحمد له رب العالمين

والصلاة والسلام على سيد الانبياء والمرسلين

(١٥٠) الإتباع ٥٤ والامالي ٢١٨/٢ والصحاح - سدم.

(١٥١) الجمهرة ٤٢٩/٣، والاتباع ٥٢ والامالي: ط/٢١٢

(١٥٢) الجمهرة /٤٣٠، والاتباع ٤٢ والامالي ٢١٥/٢ والاتباع والمزوجة ٥٩

(١٥٣) الإتباع ٤٣-٤٥، وينظر: الامالي ٢١٨/٢ والاتباع والمزوجة ٤٥

مراجع البحث

- القران الكريم.
- الإبدال - لأبي الطيب اللغوي الحلبي - تحقيق عز الدين التنوخي - مجمع اللغة العربية - دمشق ١٣٨٠هـ.
- الإبتاع - لأبي الطيب اللغوي - تحقيق عز الدين التنوخي - مجمع اللغة العربية - دمشق ١٣٨٠هـ.
- الإبتاع والمزاوجة لأحمد بن فارس بعناية كمال مصطفى - مطبعة الخانجي - القاهرة ١٩٤٧م.
- ونسخة مخطوطة عن تشستريتي ٤٦٢٤.
- الأمالي - لثعلب أحمد بن يحيى، تحقيق عبد السلام هارون - مكتبة المعارف - القاهرة ١٩٤٨م.
- الأمالي - لأبي علي القالي - مطبعة بولاق - القاهرة ١٣٢٤هـ.
- جمهرة اللغة - لابن دريد - دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن - الهند - ١٣٤٥هـ.
- الزاهر في معاني كلمات الناس - لأبي بكر بن الانباري - تحقيق د. حاتم صالح الضامن - دار الرشيد - بغداد ١٣٩٩هـ.
- سير أعلام النبلاء - للذهبي الجزء الثامن - تحقيق نذير حمدان - مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ.
- شرح الكافية - للرضي الأسترابادي - مصورة عن طبعة الآستانة ١٢٧٥هـ.
- شرح الكافية الشافية - لابن مالك - تحقيق د. عبد المنعم هريدي مركز البحث العلمي . جامعة أم القرى - مكة المكرمة ١٤٠٢هـ.
- شرح الكوكب المنير في أصول الفقه - لابن النجار - تحقيق د. محمد الزحيلي، و د. حماد . مركز البحث العلمي - مكة ١٤٠٠هـ.

- الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس - تحقيق السيد أحمد صقر - مكتبة عيسى الحلبي - القاهرة ١٩٧٧ م.
- الصحاح - للجوهري - تحقيق أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين - بيروت ١٣٩٩ هـ.
- ظاهرة الإبدال اللغوي د. علي حسين البواب، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٤ هـ.
- العين للخليل بن أحمد، تحقيق د. إبراهيم السامرائي، ود. مهدي المخزومي، دار الرشيد، بغداد ١٩٨١ م وما بعدها.
- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام - دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن - الهند ١٣٨٤ هـ.
- الغريب المصنف، لأبي عبيد القاسم بن سلام، مخطوطة مصورة، جامعة الامام، ف ٣٢٤.
- الفاخر، للمفضل بن عاصم، تحقيق عبد العليم الطحاوي، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٦٠ م.
- الفهرست، لابن النديم، تحقيق رضا تجدد، المكتبة الاسدية، طهران ١٩٧١ م.
- القاموس المحيط، للفيروزآبادي، المطبعة المصرية، القاهرة ١٩٣٥ م.
- القلب والابدال، لابن السكيت (ضمن الكنز اللغوي) تحقيق أو غست هفتر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٠٣ م.
- الكتاب، لسيبويه، بولاق، ١٣١٦ هـ.
- لسان العرب، لابن منظور، دار لسان العرب، بيروت.
- المحصول في أصول الفقه، لفخر الدين الرازي، تحقيق د. طه جابر العلواني، مطبوعات جامعة الامام، الرياض، ١٣٩٩ هـ.
- المخصص، لابن سيده الأندلسي، المكتب التجاري، بيروت.

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، للسيوطي ، تحقيق محمد أحمد جاد الله وزميله ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ١٩٥٨ م.
- المفردات ، للراغب الأصفهاني ، تحقيق محمد أحمد خلف الله ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ١٩٧٠ م.
- مقاييس اللغة ، لابن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٧٢ م.
- همع الهوامع ، للسيوطي ، دار المعرفة ، بيروت .